

رحلة معاذ بن جبل - رضي الله عنه- الدعوية إلى اليمن كما وردت في السنة النبوية

دكتور/ أحمد محمد العليمي

أستاذ الحديث وعلومه المساعد بجامعة الإمارات العربية المتحدة

رحلة معاذ بن جبل - رضي الله عنه - الدعوية
إلى اليمن كما وردت في السنة النبوية

قال ﷺ :

« نعم الرجل معاذ بن جبل »[١]

وقال أيضاً :

« وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ »[٢]

الحمد لله الهادي ، والصلاة والسلام على إمام الدعاة سيد المرسلين ﷺ أما بعد :

فقد اختار الله نبينا محمداً ﷺ خاتماً للأنبياء والمرسلين ، وجعل رسالته ناسخة لكل الديانات : ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[٣] فأدى محمد ﷺ واجب التبليغ والتطبيق ، ودعا إلى الله على صراط مستقيم ، فكشف الله به الغمّة ، وأزال به الظلمة ، وتركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها ، لا يزيغ عنها إلا هالك .

وكان الصحابة الكرام رضوان الله عليهم هم الأُمناء على الإيمان بالدعوة وحملها وايصالها إلى من بعدهم من الناس ، وقد خصوا بميزات عديدة ، تتصدر ذلك ميزتان :

الأولى : ميزة الفضل وعلو المكانة ، فهم أصحاب رسول الله ﷺ ، آمنوا به وصدقوه ورافقوه وجاهدوا في سبيل الله معه ، فنالوا شرف الصحبة الذي لم يشاركهم فيه أحد ممن جاء بعدهم « لو أنفق أحدكم مثل أُحد ذهباً ما بلغ مُدّ أحدهم ولا نصيفه »[٤] .

الثانية : ميزة حمل الرسالة والإيمان بها وتبليغها للناس ، والجهاد في سبيلها ، حيث حقق هذا الجهد تحرير الإنسان وسموّه .

ولقد كان معاذ بن جبل أحد أولئك الرواد الأوائل في تحقيق تلك الميزات ، وكان له قصب السبق في التحلي بطريقة هداية الناس ودعوتهم إلى الإسلام . ولا شك أن أهليته الدعوية والعلمية أبرزته وقدّمته على كثير من الصحابة ، فإذا به أمامهم في الدنيا والآخرة . . « يأتي معاذ يوم القيامة أمام العلماء برتوة »[٥] .

لذا كان إبراز هذه الرحلة الإيمانية والمهمة الدعوية التعليمية ، وتوضيح التكليف الشريف من صاحب الدعوة محمد ﷺ ، لأحد أصحابه أمراً واجباً نتلّمس من خلال أحداثه طريق فقه دعوي وممارسة ميدانية طرفاها رسول الله ﷺ ، ورسوله إلى اليمن معاذ بن جبل رضي الله عنه .

إن تلك القبسات تمثل علامات في الطريق في كل دور دعوي لأنها تمت بنجاح ، وقام منفذها بدوره فيها خير قيام ، فكان هذا الجهد البياني لهذه الرحلة المباركة إلى أرض الإيمان اليمن الميمون .

السيرة الذاتية لمعاذ رضي الله تعالى عنه :

اسمه ونسبه :

هو معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عائذ بن عدي بن كعب بن عمرو ابن أديّ الأنصاري الخزرجي ، السيد الإمام المدني البدري .

وأمه هي : هند بنت سهل من بني رفاعة ، ثم من جهينة[٦] .

أسلم وهو ابن ثماني عشرة سة ، وشهد بدراً مع أعيان الصحابة ، كان إليه المنتهى في العلم بالأحكام والقرآن[٧] .

قال الذهبي : أبو عبد الرحمن الأنصاري في قول الجماعة ، وخالف أبو أحمد الحاكم فقال يكنى بأبي عبد الله[٨] .

قال ابن حجر : الإمام المقدم في علم الحلال والحرام ، وشهد بدراً وهو ابن إحدى وعشرين سنة وأمّره النبي ﷺ على اليمن[٩] .

مكانتــــه وفضلـــه :

لقـد حاز الفضـل والثناء رضـي الله عنه من الرسول الكريم ﷺ وكفى بذلك مكانة وفضلاً ، ثم إنه من السابقين الذين شهدوا بيعة العقبة ، ويوم بدر وهمـا مزيتـا فضـل لا يقـدّم غيرهمـا عليهما ، قال له النبي ﷺ : « إني أحبك »[١٠] وما كان لنبي معصوم أن يبثّ حبّه أو أن يُسكن ذلك الحب قلبه لمن لا يستحقه .

جمــع القــرآن وحفظـــه :

روى قتادة عن أنس رضـي الله عنه قال : جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ أربعة كلهم من الأنصار : أبيّ بن كعب ، وزيد ، ومعاذ بن جبل ، وأبو زيد أحد عمومتي[١١] .

وفي حديث عبد الله بن عمر رضـي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « خذوا القرآن من أربعة : من ابن مسعود وأبيّ ، ومعاذ بن جبل ، وسالم مولى أبي حذيفة »[١٢] . وقال عمر رضـي الله عنه وهو يخطب الناس في الجابية : من أراد الفقه فليأت معاذ بن جبل[١٣] .

صفـــاتـه :

قال أبو نعيم : إمام الفقهاء وكنز العلماء ، كان من أفضل شباب الأنصار حلماً وحياءً وسخاءً ، وكان جميلاً وسيماً[١٤] .

وعن أبي سلمة الخولاني قال : دخلت مسجد حمص فإذا فيه نحو من ثلاثين كهلاً من الصحابة ، فإذا فيهم شابٌ أكحل العينين ، براق الثنايا ، ساكت ، فإذا امترى القوم أقبلوا عليه فسألوه ، فقلت من هذا ؟ قيل : معاذ بن جبل(١٥) .

قال الذهبي رحمه الله : ابن عينية ، عن زكريا ، عن الشعبي قال : قرأ عبد الله إن معاذاً كان أمة قانتاً لله حنيفاً ، فقال له فروة بن نوفل : إن إبراهيم ، فأعادها ثم قال : إن الأمة معلّم الخير والقانت المطيع ، وإن معاذاً رضي الله عنه كان كذلك(١٦) .

وفـــاتـــه :

وكانت وفاته بالطاعون في الشام سنة سبع عشرة ، أو التي بعدها ، وهو قول الأكثر وعاش أربعاً وثلاثين سنة . وقيل غير ذلك(١٧) .

متى تم إرساله إلى اليمن ؟

يورد علماء الحديث والسير في تحديد وقت إرسال النبي ﷺ لمعاذ إلى اليمن ثلاثة أقوال :

الأول : سنة عشر قبل حج النبي ﷺ حجة الوداع :

قال البخاري رحمه الله : باب بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع(١٨) .

وقال ابن حجر رحمه الله : وكان بعث معاذ رضي الله عنه إلى اليمن سنة عشر قبل حج النبي ﷺ(١٩) .

الثاني : سنة تسع عند منصرفه ﷺ من تبوك :

قال ابن حجر : رواه الواقدي بإسناده إلى كعب بن مالك .

وقال أيضاً : وعند أهل المغازي أنها كانت -أي الإرسال- في ربيع الآخر سنة تسع من الهجرة[٢٠].

الثالث : سنة ثمان بعد الفتح[٢١] :

قال ابن كثير : وقد قدمنا أن رسول الله ﷺ استخلفه -أي معاذ- بمكة مع عتّاب بن أسيد رضي الله عنه ليعلم أهلها ، وأنه شهد غزوة تبوك ، فالأشبه أن بعثه كان بعد ذلك . والله أعلم[٢٢].

والمتأملّ لهذه الروايات الثلاث يجد ما يأتي :

(١) أن القول الثاني مردود ، فهو مروي من طريق محمد بن عمر الواقدي وهو متروك[٢٣].

(٢) أن القول الثالث الذي فيه استخلاف النبي ﷺ لمعاذ في مكة من رواية الواقدي المذكور ، وهو أيضاً مرسل فهو مروي عن مجاهد في رواية وعن عروة في رواية وفي الطريق إلى عروة عبدالله بن لهيعة وهو ضعيف[٢٤].

(٣) يتنافى القول الثالث مع شهوده لغزوة تبوك . . . إذ كيف يتم ذلك[٢٥]؟؟

(٤) لا ينبني على هذا التحديد فائدة فيما يظهر .

وعند ترجيح القول الأول لسلامته ، وجزم البخاري به ، لا يتعارض ذلك الترجيح مع القول الثاني والثالث .

خطاب رسول الله ﷺ لأهل اليمن :

أهل اليمن من أسرع القبائل استجابة للدعوة ، وقبولاً لمبادئها ، والإيمان بدلائل الإسلام الذي أرسل الله به محمداً ﷺ ، وقد أرسل إليهم النبي ﷺ رسالة يدعوهم فيها للإسلام ، فأقبلوا إليه راضين مسلّمين حتى استحقوا وصف رسول الله ﷺ حيث قال :

« أتـاكم أهـل اليمن ، هم أرقّ أفئـدة ، وألين قلوباً ، الإيمان يمان ، والحكمـة يمانية ، والفخر والخيلاء في أصحاب الإبل ، والسكينة والوقار في أهل الغنم »[٢٦].

وعن ابن عمر رضـي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال :
« اللهم بارك لنا في شامنا ، اللهم بارك لنا في يمننا »[٢٧].

وكان مما كتبه النبي ﷺ إلى زرعة ذي يزن :
« إذا أتاك رسلي فأوصيك بهم خيراً »
« وإنّ أميرهم معاذ بن جبل ، فلا ينقلّبن إلاّ راضياً »
« وإني قد أرسلت إليكم من صالحي أهلي ، وأولى دينهم ، وأولى علمهم ، فآمركم بهم خيراً ، فإنهم منظور إليهم » والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته[٢٨].

واستجـابوا لهذا التوجيه النبوي ، واستقبلوا رسول رسول الله ﷺ بما هو أهله من إيمان بالله ، وبمحمـد رسـول الله ﷺ ، وإقـامـة شعائر الإسلام وشرائعه ، وصدق فيهم وصف الحبيب محمد ﷺ .

توديع النبي ﷺ لمعاذ رضي الله عنه :

قال الذهبي رحمه الله : أبو اليمان حدثنا صفوان بن عمرو ، عن راشد بن سعد ، عن عاصم بن حميد السكوني . . أن معاذ بن جبل لما بعثه النبي ﷺ إلى اليمن فخرج يوصيه ومعاذ راكب ورسول الله ﷺ يمشي تحت راحلته ، فلما فرغ قال : « يا معاذ إنك عسى أن لا تلقاني بعد عامي هذا ، ولعلك أن تمرَّ بمسجدي وقبري » فبكى معاذ جزعا لفراق رسول الله ﷺ ، قال : « لا تبك يا معاذ ، أو إن البكاء من الشيطان »[٢٩].

قال سيف بن عمر ، حدثنا سهل بن يوسف عن أبيه ، عن عبيد بن صخر ، أن النبي ﷺ حين ودعً معاذاً قال : « حفظك الله من بين يديك ومن خلفك ، ودرأ عنك شرّ الإنس والجن »[٣٠] . وذكر ابن سعد بسنده إلى معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه قال : كان آخر ما أوصاني به رسول الله ﷺ حين جعلت رجلي في الغرز أن أحسن خلقك مع الناس[٣١] .

المناطق التي ذهب معاذ رضي الله عنه إليها :

لقد ورد ذكر المناطق التي ذهب معاذ رضي الله عنه إليها قال أبوسنان اليماني : وأعمال اليمن في الإسلام مقسومة على ثلاثة ولاة :

فوالٍ على الجند ومخالفيها - وهو أعظمها -

ووالٍ على صنعاء ومخالفيها - وهو أوسطها -

ووالٍ على حضرموت ومخالفيها - وهو أدناها -

وسميت الجند نسبة إلى جند بن شهران بطن المعافر . كانت مدينة حصينة كثيرة الخيرات ، ثم آل أمرها إلى قرية صغيرة فيها المسجد الجامع[٣٢] .

قال الجندي : جامع الجند مسجد مشهور عمّره معاذ بن جبل رضي الله عنه صاحب رسول الله ﷺ بمساعدة أهل السكاسك بوصية رسول الله ﷺ بإعانة معاذ بن جبل على بنائه ووعد من أعانه بخير . . وكان بناوه سنة تسع من الهجرة[٣٣] .

« ونزل معاذ رضي الله عنه في الجند بين حيين من العرب السكون والسكاسك ، وهما حيان من القبيلة العربية المشهورة -كندة- التي كانت منازلها تمتد بين اليمن وحضرموت .

والجند من أرض السكاسك ، وبينها وبين صنعاء ثمانية وخمسون فرسخاً »[٣٤] .

وقد أخرج أبو نعيم عن طاووس اليماني في قصة بناء المسجد قوله : « قدم معاذ بن جبل أرضنا ، فقال له أشياخ لنا ، لو أمرت ننقل لك من هذه الحجارة والخشب فنبني لك مسجداً ، فقال : إني أخاف أن أكلّف حمله يوم القيامة على ظهري ، فبنى مسجداً متواضعاً يشبه مسجد رسول الله ﷺ[٣٥] .

وقد تزوج معاذ رضي الله عنه امرأة من بني بكرة - وهي حي من السكون يقال لها -رملة- فحدبوا عليه وعلى من معه[٣٦] .

وعند وصول معاذ رضي الله عنه ، اجتمع إليه الناس ، وعرّفهم بنفسه ، وأنه رسول رسول الله ﷺ .

قال عمرو بن ميمون الأودي : قدم علينا معاذ بن جبل اليمن رسول رسول الله ﷺ من السحر رافعاً صوته بالتكبير ، أجش الصوت ، فقام فينا خطيباً ، فقال :
يا بني أود . . إني رسول رسول الله ﷺ إليكم ، تعلمنّ أنّ المعاد إلى الله تعالى ، ثم إلى الجنّة أو إلى النار[٣٧] .

قال الذهبي رحمه الله :
سيف : حدثنا جابر الجعفي ، عن أم جهيش خالته قالت : بينا نحن بدثينة بين الجند وعدن إذ قيل : هذا رسول رسول الله ﷺ ، فوافينا القرية ، فإذا رجل متوكيء . على رمحه ، متقلّد السيف . . . »[٣٨] .

والجند اليوم فيها معهد معاذ بن جبل رضي الله عنه العلمي ، حيث يؤدي دوراً علمياً وتربوياً في بناء أجيال المسلمين في تلك الديار ، إلّا أن ما يفعله بعض المسلمين من الصلاة والاحتفال بالمسجد الجامع هناك في أول جمعة من رجب ، لم يرد به دليل لا من قرآن ولا سنة ولا إجماع -والأصل في العبادات

التوقيف- لذا ينبغي الإقلاع عن هذه البدعة ، فالخير كل الخير في الاتباع ، ولو كان خيراً لسبقونا إليه - والله المستعان .

مهمة معاذ ووظيفته التي بعثه ﷺ لها :

لقد تلقّت الأمة رسالة السماء ، وبعث النبي ﷺ دعاة لتبليغ الهداية إلى الناس ، وكان لليمن فضل سبق بين جيران مكة والمدينة حيث استقبل أهلها الإسلام بقبول وافر ، وحظ كبير . « الإيمان يمان ، والحكمة يمانيه »[٣٩] .

وقد أرسل النبي ﷺ إليهم مجموعة من الصحابة رضوان الله عنهم ، كان منهم معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه .

ولقد تعددت آراء العلماء في تحديد مسمى تلك المهمة :

قال ابن حجر : واختلف هل كان معاذ والياً أو قاضياً ؟ فجزم ابن عبد البر بالثاني ، والغساني بالأول[٤٠] .

قال ابن عبد البر : وبعثه رسول الله ﷺ قاضياً إلى الجند من اليمن ، يُعلِّم القرآن وشرائع الإسلام ، ويقضي بينهم ، وجعل إليه قبض الصدقات[٤١] .

وقال ابن كثير : والمقصود أن معاذاً رضي الله عنه كان قاضياً للنبي ﷺ باليمن وحاكماً في الحروب ، ومصدقاً إليه تدفع الصدقات ، وقد كان بارزاً للناس يصلي بهم الصلوات الخمس[٤٢] .

وقد أورد الإمام البخاري بسنده إلى عمرو بن ميمون أن معاذاً رضي الله عنه لما قدم اليمن صلى بهم الصبح : فقرأ : (واتخذ الله إبراهيم خليلا) فقال رجل من القوم : لقد قرّت عين أم إبراهيم .

وفي رواية للحديث : « أن النبي ﷺ بعث معاذاً إلى اليمن ، فقرأ معاذ

في صلاة الصبح سورة النساء ، فلما قال (واتخذ الله إبراهيم خليلا) قال رجل خلفه : قرّت عين أمّ إبراهيم »[٤٣].

وتماماً للفائدة بعد ذكر رواية البخاري ، أذكر ما يزيل إشكال تقرير معاذ لهذا القائل :

قال ابن حجر : وقد استشكل تقرير معاذ لهذا القائل في الصلاة وترك أمره بالإعادة ، وأجيب عن ذلك :
- إمّا بأن الجاهل بالحكم يعذر .
- وإما أن يكون أمره بالإعادة ولم ينقل .
- أو كان القائل خلفهم ولكن لم يدخل معهم في الصلاة .
ثم قال رحمه الله : ودلّ الحديث على أنه كان أميراً على الصلاة[٤٤].

قال ابن تيمية : ومن فضائل معاذ رضي الله عنه أنه ﷺ بعثه إلى اليمن مبلغاً عنه ، ومفقهاً ، ومعلماً ، وحاكماً[٤٥].

وقال الطبري : وبعث معاذ بن جبل معلماً[٤٦].

قال الجندي : إن معاذاً قدم الجند في جمادي الأخرى ، وأوصل كتاب رسول الله ﷺ إلى بني الأسود ، وكانوا قد أسلموا ، فاجتمعوا إليه في أول جمعة من رجب وخطبهم وفيهم جمع من اليهود فسألوه عن مفاتيح الجنة فأخبرهم بما قاله رسول الله ﷺ ، فسلّموا ، وأسلموا . وكان ذلك في جمع كبير[٤٧].

والمهمة الدعوية هي مهمة جهادية ، إذ أن الدعوة والكلمة تحتاج إلى حماية ودفاع عنها وصبر على قولها ، ورد الفعل عند الآخرين لها ، فكان من وصايا رسول الله ﷺ لمعاذ رضي الله عنه إشارة إلى هذا الجانب ، يقول معاذ رضي الله عنه : « لما بعثني النبي ﷺ إلى اليمن قال « قد بعثتك إلى قوم رقيقة قلوبهم ، فقاتل بمن أطاعك من عصاك »[٤٨].

التكليـف بالمهمـة الدعويـة :

كانت هذه المهمة متميزة لما اشتملت عليه من فقه دعوى ، وتربية إيمانية فاضت نوراً وهداية على القلوب ، وأبصرت من خلالها البصائر نور الله ومعرفته .

ولقد علّم النبي ﷺ معاذاً تلك المعاني ، وبصّره بذلك الفقه الدعوى حيث روى معـاذ رضـي الله عنه تلك القصة وذلك التعليم بقوله : بعثني رسول الله ﷺ قال : « إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب ، فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلّا الله وأنّي رسولُ الله ، فإن هم أطاعوك لذلك ، فأعلمهم أنّ الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة ، فإن هم أطاعوك لذلك ، فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فتردّ في فقرائهم ، فإن هم أطاعوا لذلك ، فإيّاك وكرائمَ أموالهم واتّقِ دعوةَ المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب » . متفق عليه(٤٩) .

وحديث معاذ هذا يحتاج إلى ثلاث وقفات لبيان فوائده ، وتحليل مقاصده ، والاستفادة من معانيه :

الأولـى : وقفة حديثية تتعلق برواية الحديث وسنده .

الثانية : وقفة لغوية تبيّن بعض مفرداته ومعانيها وبعض وجوه اللغة فيه .

الثالثة : وقفة دعوية نستبين فيها مقاصده الدعوية وفقهه .

روايـة الحـديث :

هذا الحديث من طرقه كلها من مسند عبد الله بن عباس ، لا من مسند معاذ ، إلا ما ورد عند مسلم في بعض طرق الحديث عن شيوخه أبي بكر ، وأبي كريب ، وابن راهويه .

قال مسلم رحمه الله : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبه وأبو كريب وإسحق بن إبراهيم جميعاً عن وكيع .

قال أبو بكر : حدثنا وكيع عن زكريا بن إسحاق قال : حدثني يحيى بن عبد الله بن صيفي عن أبي معبد عن ابن عباس عن معاذ بن جبل .

قال أبو بكر : ربما قال وكيع عن ابن عباس إن معاذاً قال : بعثني . . . . الحديث[٥٠] .

قال النووي في شرحه لهذا الحديث بعد أن أشار إلى أن الرواية الأولى عند مسلم تقتضي أن يكون الحديث من مسند معاذ ، والروايتين الأخيرتين تقتضيان أن يكون الحديث من مسند ابن عباس. . . قال : « ووجه الجمع بينهما أن يكون ابن عباس سمع الحديث من معاذ فرواه تارة عنه متصلاً ، وتارة أرسله فلم يذكر معاذاً ، وكلاهما صحيح كما قدمنا أن مرسل الصحابي إذا لم يعرف المعروف[٥١] يكون حجة فكيف وقد عرفناه في هذا الحديث أنه معاذ .

ثم قال : ويحتمل أن ابن عباس سمعه من معاذ ، وحضر القضية ، فتارة رواها بلا واسطة لحضوره إياها ، وتارة رواها عن معاذ إمَّا لنسيانه الحضور أو لمعنى آخر[٥٢] .

سند الحديث :[٥٣]

(١) وعلق أيضاً الإمام النووي رحمه الله على سند الحديث عند مسلم فقال :
« هذا الذي فعله مسلم رحمه الله نهاية التحيق والاحتياط والتدقيق .
فان الرواية الأولى قال فيها : عن معاذ . . والرواية الثانية قال فيها :
أنّ معاذ وبين أن و عن فرق .

قال الجماهير : أنّ كعن فيحمل على الاتصال[٥٤] .

وقال جماعة : لا تلتحق أن بعن بل تحمل أنّ على الانقطاع ، ويكون مرسلاً . ولكنه هنا يكون مرسل صحابي له حكم المتصل على المشهور من مذاهب العلماء . .

ثم قال : فاحتاط مسلم رحمه الله ، وبين اللفظين[٥٥] .

(٢) رجال الإسناد : اتفق أصحاب الكتب الستة على إخراج حديثهم إلا شيخ مسلم - أبـو بكـر ابن أبي شيبة - فلم يخرج حديثه الترمذي ، وإسحاق بن إبراهيم لم يخرج حديثه ابن ماجه .

(٣) في الإسناد ثلاثة من الكوفة : أبو بكر ، وأبو كريب ، ووكيع وأربعة من مكة : زكريا ، ويحيى ، وأبو سعيد ، وابن عباس .

(٤) في الإسناد رجل وصف بأنه (أمير المؤمنين في الحديث) وهو إسحاق بن إبراهيم بن راهويه ، وقد وصفه بذلك إمام المحدثين أحمد بن حنبل[٥٦] .

(٥) في الإسناد ثلاثة اشتهروا بكناهم : أبو بكر ، أبو كريب ، أبو معبد .

(٦) وكيع في الإسناد غير منسوب وهو ابن الجراح ، ولا لبس في عدم نسبته لأنه ليس في رجال صحيح مسلم من يسمى بهذا الاسم غيره . . بل جملة من يسمى (وكيعا) في الكتب الستة : ثلاثة .

الأول : وكيع بن الجراح . . وقد اتفقوا على إخراج حديثه .

الثاني : وكيع بن عُدْس . . وهو من رجال الأربعـة[٥٧] .

الثالث : وكيع بن مُحرس . . وهو من رجال ابن ماجه وحـده[٥٨] .

(٧) في إسناد الحديث إسحاق بن إبراهيم

قال الحافظ ابن حجر في ترجمته في التهذيب[٥٩] :

قال الآجري سمعت أبا داود يقول : إسحق بن إبراهيم تغيّر قبل أن يموت بخمسة أشهر وسمعت منه في تلك الأيام فرميت به .

والحكم في رواية المختلط عند المحدثين قبول ما حدَّثَ به قبل الاختلاط دون ما كان بعده .

قال النــووي : « واعلم أن ما كان من هذا القبيل محتجاً به في الصحيحين ، فهو مما علم أنه أخذ قبل الاختلاط[٦٠] .

(٨) في الإسناد صحابيان : ابن عباس ، ومعاذ .

وابن عباس هو : عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم ، أبو العباس المكي ثم المدني ثم الطائفي ، ابن عم النبي ﷺ ، وصاحبه ، وحبر الأمة . . دعا له النبي ﷺ فقال : « اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل » . . ولد قبل الهجرة بثلاث سنين . . مات في الطائف سنة ثمان وستين[٦١] . وأما معاذ فتقدم الحديث عنه مفصلاً .

بيان بعض وجوه اللغة في الحديث :

* أهل الكتاب : والمراد بهم اليهود والنصارى .

قال ابن حجر رحمه الله : كان أصل دخول اليهودية في اليمن في زمن أسعد أبي كرب وهو تبع الأصغر كما حكاه ابن إسحاق في أوائل السيرة النبوية الشريفة[٦٢] ، وأما النصارى فقد ورد ذكرهم في عام الوفود حيث وفدوا على رسول الله ﷺ ودعاهم إلى المباهلة[٦٣] .

* صدقة : المراد بها هنا الزكاة الشرعية التي فرضها الله في أموال الأغنياء .

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾[٦٤] .

* كرائم : الكرائم جمع كريمة أي نفيسة ، وهي جامعة الكمال الممكن في حقها من غزارة لبن وجمال صورة ، أو كثرة لحم وصوف .

قال العيني : قوله « فإياك وكرائم » .

بالواو ولا يجوز تركه لأن معنى إيّاك اتّق ، وهو الذي يقال له التحذير والمحذر منه إذا ولي المحذر . فإذا كان اسماً صريحاً يستعمل بمن أو الواو ، ولا يخلو عنهما وألا يفهم منه أنه محذر منه .

وان كان فعلاً يجب أن يكون مع أن ، ليكون في تأويل الاسم فيستعمل بالواو عطفاً نحو ، إياك وأن تحذف - فإن تقديره إياك والحذف .

أو بمن . نحو ، إياك من أن تحذف ، ولا يجوز أن يقال : إياك الأسد بدون واو وقد نقل ابن مالك إياك الأسد بحذف الواو ، ولكنه شاذ يكون في الضرورة[٦٥] .

* واتـــق : عطف واتق على عامل إياك المحذوف وجوباً . .
والتقدير : اتق نفسك أن تتعرض للكرائم .

مقاصـد الدعـوة وفقهها :

هذه الوقفة هي الوقفة الأساسية لفهم رحلة معاذ ، ومعرفة فقهها الدعوى لذا تحتاج إلى تأمل وتفكر وتدبر . . يرد الحديث عن هذه الوقفة ضمن النقاط التالية :

* التهيئة السابقة لدى الداعية .
* ترتيب الأولويـات .
* بيان أولوية التوحيد الخالص .

* بيان أولوية الرسالة الخاتمة .
* بيان بعض جوانب أساليب الدعوة وفقهها .

ومما لا شك فيه أن الدعوة الإسلامية قد أقبل الناس عليها -وخاصة بعد فتح مكّة- فإذا بالعقول البشرية قد استجابت للفيض الرباني ، فامتلأت القلوب إيماناً صادقاً ويقيناً كاملاً .

كما انطلق نور الهداية ليعم جزيرة العرب وما حولها ، فكان الإعداد والبعث من مرتكز الإسلام إلى الأطراف قائماً .

*** التهيئة والإعداد :**

من أساليب الدعوة الناجحة تهيئة الداعية بأمرين :

(١) معرفته بالفكرة التي يحملها ويدعو الناس لها ، وإدراكه للأهداف والمنطلقات التي يسعى إلى تحقيقها ، وتبصّره بالمعرفة والعلم الذي لابد منه لتثبيت الفكرة عنده وقدرته على شرحها وتوصيلها .

(أ) تعرّفه وتعريفه بالأجواء والبيئة والمستويات التي سيعمل فيها وبينها ، وما هي المؤثرات الإيجابية والسلبية للاستعداد لها والتعامل معها ؟

والأمران في حالة معاذ رضي الله عنه واضحان بينان ، فمعاذ مقدّم على أقرانه ، عارف بحلال الإسلام وحرامه ، وقناعته الإيمانية بالرسالة والرسول ﷺ في تمامها وكمالها .

ويضع النبي ﷺ وهو يكلفه بالدعوة مجموعة من المعارف المفيدة بين يديه .

لقد بدأها ﷺ بقوله : « إنك تأتي قوماً أهل كتاب » .

قال ابن حجر رحمه الله : « هي كالتوطئة للوصية لتستجمع همّته عليها ،

لكـون أهل الكتاب أهل العلم في الجملة ، فلا تكون العناية في مخاطبتهم كمخاطبة الجهال من عبدة الأوثان ، وليس فيه أن جميع من يقدم عليهم من أهـل الكتاب ، بل يجوز أن يكون فيهم من غيرهم ، وإنما خصّهم بالذكر تفضيلاً لهم على غيرهم ، أو تغليباً على غيرهم »[٦٦] .

وتوفر هذه المعرفة لمعاذ رضـي الله عنه أسهم في أداء دور متميز وخاصة أن هذه الإشارة والإيماءة إلى هذا الجانب نبّهت عند معاذ رضـي الله عنه ما كان قد مارسه مع اليهود في المدينة من الدعوة . فقد ورد أن اليهود في المدينة كانوا يكثرون من الحديث عن نبي آخر الزمان ، وكان إذا حدث بينهم وبين أهل المدينة شيء قالوا لهم : إن زمان نبي خاتم قد أزف ، ولنتّبعنّه ونقتلكم معه قتل عاد وإرم[٦٧] . . بل إن النفر من أهل المدينة الذين لقوا رسول الله ﷺ في منى ، وهم نفر من الخـزرج ، فعـرض عليهم الإسلام ، ودعاهم إلى الإيمان ، فقالوا : والله لهو النبي الذي تواعدكم به يهود فلا يسبقنكم إليه ، فأسلمـوا[٦٨] . . فلما بعث الله محمـداً -ﷺ- من العرب كذب اليهود به ، وجحدوا ما كانوا يقولون فيه .

ذهب معاذ بن جبل مع بشر بن البراء رضـي الله عنهما إلى اليهود ، وقالوا لهم : يا معشر يهود ، اتقوا الله وأسلموا ، فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ونحن أهل شرك ، وتخبرونا أنه مبعوث ، وتصفونه لنا بصفته . . فقال سلام بن مشكم -أخو بني النضير- ما جاءنا بشيء نعرفه ، وما هو بالذي كنا نذكره لكم ، فأنزل الله في ذلك من قولهم[٦٩] :

﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[٧٠] .

وقال ابن هشام : وسأل معاذ بن جبل أخو بني سلمة وسعد بن معاذ أخوَ بني عبد الأشهل ، وخارجة بن زيد أخو بَلْحارث بن الخزرج نفراً من يهود عن بعض ما في التوراة ، فكتموهم إياه ، وأبوْا أن يخبروهم عنه(٧١) ، فأنزل الله تعالى فيهم :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴾(٧٢) .

قال ابن كثير بموضعه : قال أبو العالية : نزلت في أهل الكتاب كتموا صفة محمد ﷺ .

لذا فإن معاذاً رضي الله عنه وقد شارك ومارس دعوة أهل الكتاب ، يعلم جحودهم ومكرهم وإنكارهم ، فهو صاحب تجربة ورؤية تؤهله للخطاب لا يحتاج معها إلا إلى هذه الإشارة السريعة في قول رسول الله ﷺ .

*** ترتيب الأولويات :**

تبرز هنا قضية من أهم قضايا فقه الدعوة ، إذ على كل ممارس للدعوة أو متحدث عنها أن يلحظها ويتأدب بها ويمارسها ، فإن تقديم الأهم فالمهم هو أساس دعوى لابد من توفره ووجوده .

إن عملية هداية القلوب وتركيز القناعة فيها يتطلب مهارة فائقة ، وقدرة عالية للوصول إلى أقفال تلك القلوب لفتحها ، وإذكاء روح الإدراك وتصويبه نحو الحق الذي يطلبه الله من العباد . وعمل الدعوة من أفضل الأعمال وأصعبها « . . . لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم »(٧٣)

لذا اختار الله الأنبياء وصنعهم جلّ وعلا على عينه ،

﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾(٧٤)

فكانوا الأسوة والقدوة لمن جاء بعدهم وسار على طريقهم .

إن تعلم حملة دعوة الإسلام لفقهها الدعوي ، وتدربهم على أساليب صناعة الحياة ضمن شريعة الإسلام ، وإيصال فكرته وهدايته إلى الناس ، من أهم قضايا التفكير المنهجي ، والعمل المبرمج ، الذي يسعى الداعون إلى الله إلى إدراكه وفهمه وممارسته .

يأتي قوله : « فادعهم إلى شهادة أن لا إلّه إلاّ الله »

وفي رواية : « فليكن أول ما تدعوهم إليه .... »

ويلاحظ هنا هو قوله ﷺ : « أول » لتأتي من خلاله قاعدة ترتيب الأولويات ، أو البدء بالأهم فالمهم ، وهي القاعدة التي تعصم من تبديد الجهود وضياعها .

فعلى الداعية أن لا يبدد جهوده في الجزئيات واستئصالها ، إن كان في ذلك تعويق له عن غرس معاني العقيدة الإسلامية في النفوس ، ودعوته إلى الله .

ودليلنا على ذلك أن رسول الله ﷺ كان يرى الأصنام تلوّث بيت الله وتحيط به وهي تطل بعيونها الجامدة القبيحة ، وهو عليه الصلاة والسلام لا يرفع يده لتحطيمها ولا يأمر أحداً من أصحابه بتكسيرها ، ولو أراد لأُمر ، ولو أمر لنفذّ المسلمون ما يأمرهم به ، ولكنه لم يفعل ذلك عليه الصلاة والسلام ، لأن المسألة ليست مسألة تكسير أصنام آنذاك ، وإنما هي تكسير أقفال القلوب حتى تفقه الحق ، ثم يأتي اليوم الذي تخر فيه الأصنام تحت ضربات المؤمنين ، وقد كان ذلك في يوم الفتح لمكة . . فكان ﷺ يشير بعصاه إلى الأصنام وهو يقول :

﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾[٧٥] فتخرّ إلى الأرض مكسرة محطمة ذليلة[٧٦] .

بيـان أولويـة التوحيـد الخـالص :

وقد ورد في الحديث من خلال تقديم الدعوة إلى الناس ، أن يبدأ معهم بالقضية الأساسية فقال ﷺ لمعاذ رضـي الله عنه : « فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله » .

« . . . وأول وأهم ما أمر النبي ﷺ أن نؤمن به هو لا إله إلا الله وهذه الكلمـة التي يقـوم عليهـا بنـاء الإسلام ، وهي التي تميّز المسلم من الكافر والمشرك والملحـد وهي التي تحدث الفـرق العـظيم بين الإنسـان المؤمن بها والإنسان المعرض عنها »(٧٧) .

إن أول قضية تبـدأ بها الـرسالة ، وتبلغ بها الدعوة هي شهادة التوحيد « . . . هذا التوحيد الخالص التام هو مفرق الطريق بين عقيدة المسلم وسائر العقـائـد ، سواء منهـا عقـائـد الملحـدين والمشركين ، وعقائد أهل الكتاب المنحرفين يهوداً أو نصارى على اختلاف مللهم ونحلهم جميعاً . كما أنه مفرق الطريق بين حياة المسلم وحياة سائر أهل العقائد في الأرض .

فالعقيدة هنا تحدد منهج الحياة ونظامها تحديداً كاملاً دقيقاً . . لقد حكى القرآن الكريم عن اليهود أنهم كانوا يقولون عزير ابن الله ، كما أن الانحراف الذي سجله ما يعتبره اليهود اليوم -الكتاب المقدس- يتضمن شيئاً كهذا كما جاء في سفـر التكـوين -الإصحـاح السـادس- وأمـا انحرافات التصورات المسيحية -النصرانية- فقـد حكى القرآن الكريم منها قولهم : إن الله ثالث ثلاثة ، وقولهم : إن الله هو المسيح ، أو أنه ابنه .

قال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ ذَٰلِكَ قَوۡلُهُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُۚ

﴿ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾[٧٨] .

«كذلك -فإن التوحيد- مفرق الطريق في الحياة والسلوك ، إن الذي يمتلىء شعوره بوجود الله الواحد الأحد لا إله إلا هو ، لابد أن يختلف منهج حياته ونظامها من الأساس عن الذي تغيم في حسّه تلك التصورات التائهة المهوشة ، فلا يجد في ضميره أثراً لحقيقة الألوهية الفاعلة المتصرفة في حياته » .

« إنه مع التوحيد الواضح الخالص لا مكان للعبودية إلا لله ، ولا مكان للاستمداد والتلقي إلا من الله ، لا في شريعة أو نظام ، ولا في أدب أو خلق ، ولا في اقتصاد أو اجتماع ، ولا مكان كذلك للتوجه لغير الله في شأن من شئون الحياة ، وما بعد الحياة » .

«إنّ التميّز والتفرّد لطبيعة الحياة الإسلامية -لا لطبيعة الاعتقاد وحده- فالحياة الإسلامية بكل مقوماتها إنما تنبثق انبثاقاً من حقيقة هذا التصور الإسلامي عن التوحيد الخالص الجازم .
التوحيد الذي لا يستقيم عقيدة في الضمير ما لم تتبعه آثاره العملية في الحياة . من تلقي الشريعة والتوحيد من الله في كل شأن من شئون الحياة ، والتوجه إلى الله في كل نشاط وكل اتجاه »[٧٩] .

« إن التوحيد هو قاعدة العقيدة منذ أن بعث الله الرسل لا تبديل فيها ولا تحويل ، توحيد الإله وتوحيد المعبود ، فلا انفصال بين الألوهية والربوبية ، ولا مجال للشرك في الألوهية ولا في العبادة . . قاعدة ثابتة ثبوت النواميس الكونية ، ومتصلة بهذه النواميس وهي واحدة منها »[٨٠] .
قال تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾[٨١] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال :

« أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلّا الله ، ويؤمنوا بي وبما جئت به ، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلّا بحقها وحسابهم على الله »[٨٢] .

قال ابن حجر رحمه الله : « ووقعت البداءة بهما -أي الشهادتين- لأنهما أصل الدين الذي لا يصح شيء غيرهما إلّا بهما . . فمن كان منهم غير موحد ، فالمطالبة متوجهة إليه بكل واحدة من الشهادتين على التعيين » .

ثم قال : « وإن كانوا يعتقدون ما يقتضي الإشراك أو يستلزمه ، كمن يقول ببنوة عزير أو يعتقد التشبيه . . فالمطالبة بالتوحيد لنفي ما يلزم من عقائدهم »[٨٣] .

بيان أولوية الرسالة الخاتمة :

قال رسول الله ﷺ لمعاذ رضي الله عنه : « . . . وأني رسول الله » لا يكفي في الإسلام الاقتصار على شهادة أن لا إله إلا الله حتى يضيف إليها الشهادة لمحمد ﷺ بالرسالة .

قال ابن حجر رحمه الله : « . . . ومن كان موحداً ، فالمطالبة - منه - بين الإقرار بالوحدانية والإقرار بالرسالة »[٨٤] .

بل لقد جمع بينهما لتلازمهما ، وأنه لا تنفع واحدة منهما بدون الأخرى ، فلابد للدخول في الإسلام من الإتيان بهما معاً ، ولهذا جعلهما النبي ﷺ شيئاً واحداً ، وركناً أساسياً في أركان الإسلام الخمسة . . كما ثبت ذلك عن رسول الله ﷺ حيث قال : « بني الإسلام على خمس ، شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، وحج البيت ، وصوم رمضان »[٨٥] . . فهما معاً الركن الأول والأساسي في هذه الأركان الخمسة[٨٦] .

إن رسالة محمد ﷺ ملزمة لكل الناس ، كيفما كانوا ، أهل الكتاب أو غيرهم لأن الله جعل رسالته خاتمة الرسالات ، ناسخة لها ، باقية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

قال تعالى : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾(٨٧) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :

« والذي نفس محمد بيده ، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة ، يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن ، بالذي أرسلت به إلاّ كان من أصحاب النار »(٨٨) .

فالإسلام هو الصورة النهائية للرسالة التي أنزلها الله للبشر على الأرض ، فلا دين بعده ، ولا رسالة سواه ، ومحمد ﷺ هو النبي الخاتم فلا نبي بعده ، ولا رسول غيره ، ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾(٨٩) .

وقد أوصى الأنبياء أتباعهم ، وحثوهم على الإيمان برسالة محمد ﷺ وذكروا لهم صفاته ﷺ ، لأن الله أخذ العهد على أولئك الأنبياء بالبيان والذكر والإيمان له إذا أدركوه .

قال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ

وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[٩٠].

وكانت بعثة محمد ﷺ هي المكملة لبنيان الرسالة ، المتممة لهداية الإنسان في عالم الشهادة .

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، أن رسول الله ﷺ قال :
« مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية ، فجعل الناس يطوفون به ، ويعجبون له ، ويقولون : هلاّ وضعت هذه اللبنة ؟ . . فأنا اللبنة ، وأنا خاتم النبيين »[٩١].
وقوله ﷺ :
« . . . وأرسلت إلى الخلق كافة ، وختم بي النبيون »[٩٢].
وكان ﷺ ناصحاً محباً مشفقاً على هذه الأمة وهدايتها . .
قال تعالى : ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾[٩٣].

بل إنه تحمل الأذى وصبر ، وواجهه أعداؤه بكل قوتهم ومكرهم ، بل سلطت عليه ثقيف ، سفهاءها وغلمانها يوم خروجه إلى الطائف فأدموا قدميه ورشقوه بالحجارة ، وطاردوه في أزقة الطائف حتى ألجئوه إلى حائط لعتبة وشيبة أبناء ربيعة ، وفي هذا الجو النفسي الخانق والاضطراب المعنوي الظاهر ، يُخيّر في إنزال العقاب على المشركين بإطباق الجبال عليهم إلاّ أنه صلى الله عليه وسلم يقول :
« بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً »[٩٤].

*** بعض جوانب أساليب الدعوة وفقهها :**

بعث رسول الله ﷺ الرسل والكتب لدعوة الناس إلى دين الله ليقيم عليهم حجة التبليغ والرسالة ، و لبيان الهداية الربانية الشاملة لهم حتى يفيقوا من غفلتهم وينتهوا عن جهالتهم ، ويعبدوا الله الواحد فلا يشركوا معه غيره .

وكان بعث معاذ بن جبل رضي الله عنه إلى اليمن ، وكان معه بعض الصحابة منهم أبو موسى الأشعري رضي الله عنه .

قال البخاري بسنده إلى أبي بردة قال : بعث رسول الله ﷺ أبا موسى ومعاذ بن جبل إلى اليمن. . قال : وبعث كل واحد منهما على مخلاف . . أي والياً على منطقة. . فكان معاذ في الجند وما حولها ، وكان أبو موسى على زبيد وما حولها. . وقد أوصاهما بوصية دعوية مميزة ، هي قوله لهما: « يسّرا ولا تعسّرا . . وبشّرا ولا تنفرا »[٩٥]. وهي وصية غالية مهمة في ميدان العمل الدعوي ، والممارسة الدعوية .

*** التيسير وعدم التعسير :**

إن الدعوة الإسلامية التي ختم الله بها الدعوات : باقية خالدة ممتدة في الزمن إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، تصلح بسببها الحياة ، وتستقيم على شرعها الحقوق والواجبات ويلتزم بمبادئها وأهدافها المؤمنون بالله في كل زمن وكل حين ، حيث لا يصلح الزمان ولا المكان ولا الإنسان إلا بها ، ولا تتحقق سعادة لأحد إلا في ظلالها والسير في طريقها ، وقد جعلها الله قائمة على التيسير وعدم التعسير والحرج .

« لأن التيسير فيها مبني على رعاية ضعف الإنسان ، وكثرة أعبائه ، وتعدد مشاغله وضغط الحياة ومتطلباتها عليه ، وشارع هذا الدين رؤوف رحيم لا

يريد بعباده عنتاً ولا رهقاً ، إنما يريد لهم الخير والسعادة وصلاح الحال والمآل في المعاش والمعاد[٩٦] .

والتيسير في دين الله ظاهر بيّن :

فمن حيث إدراك حقيقة الإسلام تصوراً ، والقناعة به معرفة ، جعل الله مصدر المعرفة فيه ميسّرة وهو القرآن الكريم .. فمن خلال قراءته وإدراكه ومعرفة قضية التصور العقدي والتشريعي والأخلاقي ميسّرة في ذلك كله . ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾[٩٧] .

ومن حيث التطبيق الميداني فقد كانت بعثة محمد ﷺ ، وقيامه بالدعوة والجهاد لبناء الأمة المسلمة في المدينة المنورة ، وتمثل تلك الأمة لمعاني الإسلام وتطبيقها لمبادئه هي الصورة المثلى ، والأسوة الكبرى في عالم التطبيق لذلك التصور الميسّر ، فإذا بتطابق التيسير في النظرية والواقع في صورة واضحة بيّنة مدركة .

قال تعالى :

﴿ .. يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾[٩٨] .

« وهذه هي القاعدة الكبرى في تكاليف هذه العقيدة كلها ، فهي ميسّرة لا عسر فيها ، وهي توحى للقلب الذي يتذوقها بالسهولة واليسر في أخذ الحياة كلها ، وتطبع نفس المسلم بطابع خاص من السماحة التي لا تكلف فيها ولا تعقيد ، سماحة تؤدي معها كل التكاليف وكل الفرائض ، وكل نشاط الحياة الجادة . وكأنما هي مسيل الماء الجاري ، ونمو الشجرة الصاعدة في طمأنينة وثقة ورضاء ، مع الشعور الدائم برحمة الله وإرادته اليسر لا العسر بعباده المؤمنين »[٩٩] .

والآيات في ذلك كثيرة فمنها :

قوله تعالى : ﴿ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾(١٠٠) .

وقوله : ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ﴾(١٠١) .

وقوله : ﴿ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ﴾(١٠٢) .

وقوله : ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾(١٠٣) .

وإذا كانت هذه ومضات التيسير في الإسلام تصوراً وتطبيقاً فإن الداعية إلى هداية الناس وإقناعهم بهذا الدين أحوج إلى أسلوب التيسير وعدم التعسير على المدعوين بل لابد من رحمة وعطف وحدب على المدعوين ليكون ذلك أدعى لقبولهم وأقرب لاستجابتهم .

انظر معي إلى ألدّ أعداء الله فرعون ، وقد ادّعى ما لم يدعيه بشر ، فقال للناس أنا ربكم إلا على وهي أعظم معصية عصى الله بها ، فهي أعظم من الشرك به جل جلاله ، إلا أن أحبّ عباد الله وكليمه عند إرساله لدعوة فرعون ، تزودّ بزاد التيسير وعدم التعسير .

قال تعالى : ﴿ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾(١٠٤) .

« فالقول اللين لا يثير العزّة بالإثم ، ولا يهيج الكبرياء الزائف الذي يعيش به الطغاة ، ومن شأنه أن يوقظ القلب ، فيخشى عاقبة الطغيان .

اذهبا إليه غير يائسين من هدايته ، راجين أن يتذكر ويخشى ، فالداعية الذي ييأس من اهتداء أحد بدعوته لا يبلّغها بحرارة ، ولا يثبت عليها في وجه الجحود والإنكار »(١٠٥) .

وهذا وصف النبي محمد ﷺ في القرآن الكريم بهذا المعنى الكريم الذي يحتاجه كل مسلم على وجه العموم ، وكل داعية على وجه الخصوص .

قال تعالى : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ ﴾(١٠٦) .

لأن الناس في حاجة عند دعوتهم والسير بهم في طريق الله إلى هذا التوجيه الرباني وهذا الفيض الآلهي .

« فهي رحمة الله التي نالته ونالتهم ، فجعلته ﷺ رحيماً بهم ، ليناً معهم ولو كان فظًّا غليظ القلب ما تألّفت حوله القلوب ، ولا تجمّعت حوله المشاعر .

فالناس في حاجة إلى كنف رحيم ، وإلى رعاية فائقة ، وإلى بشاشة سمحة وإلى ودّ يسعهم ، وحلم لا يضيق بجهلهم وضعفهم ونقصهم . . في حاجة إلى قلب كبير يعطيهم ولا يحتاج منهم إلى عطاء ، ويحمل همومهم ولا يعنيهم بهمّه ، ويجدون عنده دائماً الاهتمام والرعاية والعطف والسماحة والود والرضاء .

وهكذا كان قلب رسول الله ﷺ ، وهكذا كانت حياته مع الناس ، ما غضب لنفسه قط ، ولا ضاق صدره بضعفهم البشري ، ولا احتجز لنفسه شيئاً من أعراض هذه الحياة ، بل أعطاهم كل ما ملكت يداه في سماحة نديّة ، ووسعهم حلمه وبره وعطفه ووده الكريم ، وما من واحد منهم عاشره أو رآه إلّا امتلأ قلبه بحبه ، نتيجة لما أفاض عليه ﷺ من نفسه الكبيرة الرحيبة ، وكان هذا كله رحمة من الله به وبأمته »(١٠٧) .

والموضوع واسع الجنبات ، أورد فيه بعض الآيات الدالة ، والأحاديث النبوية :

قال تعالى : ﴿ ... وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾(١٠٨).

وقال : ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾(١٠٩).

وقال : ﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴾(١١٠).

وعن عائشة رضـي الله تعالى عها قالت : قال رسول الله ﷺ :

« إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله »(١١١).

وعن عائشة رضـي الله عنها أن النبي ﷺ قال :

« إن الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وما لا يعطي على ما سواه »(١١٢).

وعنها رضـي الله عنها أن النبي ﷺ قال :

«إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ، ولا ينزع من شيء إلاّ شانه »(١١٣).

وعن جرير بن عبـد الله رضـي الله عنـه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول: « من يُحرم الرفق يُحرم الخير كله »(١١٤).

وقال النبي ﷺ :
« إن الله لم يبعثني معنتاً ولا متعنتاً ، ولكني بعثت معلّماً ميسّراً »(١١٥).

وعن عائشة رضـي الله عنها قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة قائم الليل وصائم النهار »(١١٦).

وأختمه بقول ابن القيم رحمه الله : « فإن الناس ينفرون من الكثيف ، ولو بلغ في الدين ما بلغ ، ولله ما يجلب اللطف والظرف من القلوب ، فليس الثقلاء بخواص الأولياء .

وما ثقل أخذ على قلوب الصادقين المخلصين إلّا من آفة هناك ، وإلّا فهذه الطريق تكسو العبد حلاوة ونظافة وظرفاً . . فترى الصادق فيها من أحلى الناس ، وألطفهم وأطرفهم ، قد زالت عنه ثقالة النفس ، وكدورة الطبع ، فتراه أكرم الناس عشرة ، وألينهم عريكة ، وألطفهم قلباً وروحاً »[١١٧] .

ويقول القاضي عياض : « لأن يلاطف الرجل أهل مجلسه ، ويحسن خلقه معهم خير له من قيام ليله ، وصيام نهاره »[١١٨] .

*** التبشير وعدم التنفير :**

وتمام وصية النبي ﷺ لمعاذ وأبي موسى رضي الله عنهما أن يبشرا الناس ولا ينفرا . . وعملية التبليغ الدعوى لرسالة الإسلام مرتبطة بتبشير الناس بالوعد الذي وعده الله لمن آمن وصدّق برسوله محمد ﷺ وبما جاء من ربه تعالى .

قال تعالى : ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴾[١١٩] .

وقال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ۝٢٠ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ۝٢١ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾[١٢٠] .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ :

« يسّروا ولا تعسّروا ، وسكّنوا ولا تنفروا »[١٢١] .

وورد من حديث عائشة رضـي الله تعالى عنها ، عن النبي ﷺ :
« وكان يحب التخفيف والتسرّى عن الناس »[١٢٢].

والتبشير في الإسلام يكون بأمور عديدة منها :

(١) معرفة الله وتوحيده ، فهي كمال العلوم التي تسعد بها العقول ، وتلتذ بها النفوس ، فالسعادة كل السعادة في مكنون حسن الصلة به ، والثقة به ، والتوكل عليه وتوحيده .

(٢) معرفة محمد ﷺ ، فهو المبلّغ عن الله تعالى ، فلا تتم صلة العبد بربّه إلّا بواسـطة ما جاء به محمد ﷺ ، فهو القدوة والأسوة فلا يتم إسلام المسلم إلا بتصديقه والإيمان بما جاء به من ربه تعالى .

(٣) يُسر الإسلام وشموليته للحياة وكماله وتمامه ، فهو الذي يُحقق السعادة، ويدفع الشقاء والضنك عن الإنسان في حياته . . ويحقّق للإنسان إنسانية ورقيًا لم يره الإنسان ولم يمارسه في غير الإسلام العظيم على طول تاريخ الإنسان .

(٤) مغفرة الله ورضاه ، ومحبته للطائعين لأمره من من عباده ، المنتهين عن نهيه فهو الرحيم الروءوف بعباده التائب عليهم .

(٥) تحقق وعد الله لعباده الصالحين بالجنة التي أعدّها لهم ، وفيها ما تشتهيه الأنفس ، وتلذّ الأعين ، فهي دار النعيم والقرار الذي لا ينغصه شيء .

والـداعية حامل للبشارة ، فيحبب الإسلام للناس . . وطريق الترغيب والتبشـير هو طريقـة مُثلى للدعوة ، وممارسة هداية الناس ، وإيصال المعرفة الإسلامية إليهم ، فهو خُلق يتخلق به الداعي ، وزينة يتجمّل بها ، فكانت الوصاية به .

قال أبو حاتم : « البشاشة إدام العلماء ، وسجية الحكماء ، لأن البشر يطفيء نار المعـاندة ، ويحرق هيجان المباغضة ، وفيه تحصين من الباغي ،

ومنجاة من الساعي ، ومن بشّ للناس وجهاً لم يكن عندهم بدون الباذل لهم ما يملك .

وأهل اليمن هم أصحاب القبول للبشرى والتبشير :

فعن عمران بن حصين رضـي الله عنه تعالى عنهما قال : جاء نفر من بني تميم إلى النبي ﷺ ، فقال « يا بني تميم أبشروا » قالوا : بشرتنا فأعطنا ، فتغيَّر وجهه .

وجاءه أهل اليمن فقال : « يا أهل اليمن ، اقبلوا البشرى ، إذ لم يقبلها بنو تميم » ،

قالوا : قبلنا يا رسول الله . قالوا : جئناك نسألك عن هذا الأمر .

قال النبي ﷺ : « كان الله ولم يكن شيء غيره ، وكان عرشه على الماء ، وكتب في الذكر كل شيء ، وخلق السموات والأرض »[١٢٣] .

وقال ابن مسعود : « خالط الناس ، ودينك لا تكلمنه »[١٢٤] .

ومن التبشير وعدم التنفير مداراة الناس . . قال ابن بطال :

« المداراة -أي الرفق في الدفع- من أخلاق المؤمنين ، وهي خفض الجناح للنـاس ولـين الكلمـة وترك الإغلاظ لهم في القول وذلك من أقوى أسباب الألفة » . ثم قال : « والمداراة هي الرفق بالجاهل في التعليم ، وبالفاسق في النهي عن فعله ، وترك الإغلاظ عليه حيث لا يظهر ما هو فيه ، والإنكار عليه بلطف القول والفعل ، ولا سيما إذا احتيج إلى تأليفه ونحو ذلك . . والمداراة ليست المداهنة -لأن المداراة مندوب إليها ، والمداهنة حرام ، وهي معاشرة الفاسق وإظهار الرضا بما هو فيه من غير إنكار عليه »[١٢٥] .

* **التطاوع وعدم التنازع بين الدعاة :**

وهذا معلم آخر من معالم الدعوة وفقهها لابد من بيانه وإيضاح دلالته وفهمه . وهو قول النبي ﷺ لمعاذ بن جبل وأبي موسى رضي الله عنهما : « . . . وتطاوعا ولا تختلفا »[١٢٦] .

وهي وصية في ميدان العمل الدعوي ، وحكم من أحكام الأمرة ، فالتعاون والتكاتف سبيل نجاح الدعوات ، وطريق صفاء القلوب على بعضها ، والخلاف والفرقة سبب فشل الجهود ، وتبعثر الطاقات والإمكانات .

وقد امتثل الصاحبان لهذا التوجيه الكريم ، فكانا يلتقيان للتشاور والتزاور والتعاون ، وكان كل منهم مطيع لأخيه يتمنى لو كفاه أخوه التكليف والإمرة ، ومما ورد في ذكر ذلك عندهما ، ما أخرجه البخاري رحمه الله ، فقال بسنده إلى أبي بردة قال : بعث رسول الله ﷺ أبا موسى ومعاذ بن جبل إلى اليمن . . . وفيه :

« . . . فانطلق كل واحد منهما إلى عمله ، وكان كل واحد منهما إذا سار في أرضه وكان قريباً من صاحبه أحدث به عهداً فسلّم عليه ، فسار معاذ في أرضه قريباً من صاحبه أبي موسى ، فجاء يسير على بغلته حتى انتهى إليه ، وإذا هو جالس وقد اجتمع إليه الناس ، وإذا رجل عنده وقد جمعت يداه إلى عنقه .

فقال له معاذ : يا عبد الله بن قيس أيّم هذا ؟

قال : هذا رجل كفر بعد إسلامه .

قال : لا أنزل حتى يقتل .

قال : إنما جيىء به لذلك ، فانزل .

قال : ما أنزل حتى يقتل .

فأمر به فقتل : ثم نزل ، فقال : يا عبد الله .. كيف تقرأ القرآن ؟
قال : اتفوقه تفوقاً .
قال : فكيف كيف تقرأ أنت يا معاذ ؟
قال : أنام أول الليل ، فأقوم وقد قضيت جزئي من النوم ، فأقرأ ما كتب الله لي فأحتسب نومتي كما أحتسب قومتي »[١٢٧].
وقوله في الحديث : « أحدث به عهداً » أي جدد به العهد بزيارته له .
وقوله : « أتفوقه تفوقاً » .

قال ابن حجر رحمه الله : معناه : « ألازم قراءته ليلاً ونهاراً شيئاً بعد شيء ، وحيناً بعد حين . مأخوذ من فواق الناقه ، وهو أن تحلب ثم تترك ساعة حتى تدرَّثم تحلب هكذا دائماً[١٢٨] ..

والفرقة والخلاف مرض من أمراض القلوب يدفع إليها ما يأتي :

(١) الكبر : (بطر الحق ، وغمط الناس) .

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر . الكبر بطر الحق وغمط الناس[١٢٩] ..

فلا يعترف لغيره بفضل ، ولا يرى قدرة عند أحد . فهم قاصرون جميعاً لا يدركون ما يدرك ، ولا يبدعون ما يبدع ، معجب بنفسه لا يعترف لأحد غيره بمكان .

(٢) التعصب لوجهة النظر :

فإذا أبدى رأياً أو اجتهد اجتهاداً فلابد أن ينصاع الجميع لرأيه ، فرأيه صواب لا يحتمل الخطأ ، ورأي غيره خطأ لا يحتمل الصواب ، لذا فإنه يُقعد الدنيا ولا يقيمها إذا رأى من مجتهد غيره اجتهاداً أو رأياً يخالف رأيه أو اجتهاده .

(٣) الجهـل والجهـالة :

يقول سحنون : « يكون عند الرجل باب واحد من العلم ، فيظن أن الحق كله فيه »[١٣٠].

(٤) الظلم وعدم العدل :

وقد أمر الله بالعدل في كل شيء ، فقال :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ ﴾[١٣١].

والعدل في الإسلام ميزان تعامل مع الجميع حتى ولو كان عدواً ، قال تعالى : ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾[١٣٢].

وهي أخلاق وصفات يبتعد المؤمن عنها وعن ممارستها وتعاطيها[١٣٣].

روى ابن قتبة قال :

« مرّ بي بشر عبد الله بن أبي بكرة فقال : ما يجلسك هاهنا ؟ فقلت : خصومة بيني وبين ابن عم لي ، فقال : إنَّ لأبيك عندي يداً ، وإني أريد أن أجزيك بها ، وإني والله ما رأيت شيئاً أذهب للدين ، ولا أنقص للمروءة ، ولا أضيع للذة ، ولا أشغل للقلب من الخصومة »[١٣٤].

والدعاة هم على قلب رجل واحد كما يقول النبي ﷺ :

« لا اختلاف بينهم ولا تباغض ، قلوبهم قلب واحد »[١٣٥].

وهم كما قال الشاعر :

قوم يرون الحق نصر أميرهم ويرون طاعة أمره إيمانا

والمسئولية في أداء الدور الدعوي ، تكليف لا تشريف ، ومهمة شاقة لا نزهة مريحة .

« ما من أمير يلي أمر المسلمين ثم لا يجهد لهم وينصح إلا لم يدخل معهم الجنة »[١٣٦].

« من ولي أمر عشرة من أمتي جاء يوم القيامة ويداه مغلولتان إلى عنقه حتى يفكه العدل أو يوبقه الجور »[١٣٧].

متى رجع معاذ بن جبل رضـي الله تعالى عنه من اليمن ؟ :

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله : اتفقوا على أنه لم ينزل على اليمن إلى أن قدم في عهد أبي بكر الصديق رضـي الله تعالى عنه. . لقد قدم إلى الحجاز. ووصل مكة في موسم الحج الحادي عشر من الهجرة ، وكان الخليفة أبوبكر الصديق رضـي الله عنه قد عيّن عمر بن الخطاب رضـي الله عنه أميراً للحج في هذا العام ، فلقيه معاذ يوم التروية ، فاعتنقا طويلاً ، وعزّى كل واحد منهما صاحبه برسول الله ﷺ[١٣٨].

قال الأعمش عن شقيق : « قدم معاذ من اليمن برقيق ، فلقي عمر بمكة . . فقال : ما هؤلاء ؟

قال : أَهْدَوْا لي . . قال : ادفعهم إلى أبي بكر ، فأبى .

فبات فرأى كأنه يُجرّ إلى النار ، وأن عمر يجذبه ، فلما أصبح قال : يابن الخطاب ما أراني إلا مطيعك. . إلى أن قال : فدفعهم إلى أبي بكر .

فلما أصبح فرآهم يصلّون . . قال : لمن تصلّون ؟ قالوا : لله . . قال : فأنتم لله »[١٣٩].

الخاتمـــة

في رحلة معاذ بن جبل رضـي الله تعالى عنه ، تبيّن لنا ما يأتي :

* جُهدُوا واحدٍ من الصحابة رضوان الله عليهم ، بلّغ الرسالة ، وفارق وطنه وأهله ، وأقام حجة الله على خلقه ، فكان نعم المبلّغ ، ونعم المعلّم .
* فضلُ قوم أرسل إليهم رسول الله ﷺ داعيته ، فكانت استجابتهم كاملة ومعدنهم خيّر ، فإذا بهم ينتظمون في صف دعوة الرسالة ، تتزاحم مناكبهم طاعة وولاء ووفاء للداعية وللرسول ﷺ .
* بيان منهج في فقه الدعوة تبصر من خلاله جهد البشر وهم يبلّغون رسالة الله للنـاس في كل مكـان في أحـدث صورة من صور صلاحية الرسالة والدين ، وأحدث صورة لما أبدعته أساليب التبليغ لهذه الدعوة .
* تتراءى أمامك سماحة الإسلام ويسره وبشراه للسالكين في طريق الإيمان والـدعوة الإسلامية ، لا يطلبون دنياً ، ولا يتنافسون على منصب ، ولا يطمعون في جاه .
* تظهر دلائل الأولويات في الاهتمام بأساسات البناء ونقطة البداية ، ومهمة الحياة والوجود في اعتراف للخالق الموحد بالخلق ، وتوجيه العبادة والطاعة له ، مع إقرار تام بلا إلّه إلّا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ .
* إن بيان هذا الجهد وغيره مما يضفي روح العلم والفهم والإدراك في أجيال المسلمـين وهم يمارسـون عملية البناء للأمة على توحيد صادق ، وإيمان مشرق ، ورسالة شيّقة طيّبة ، ينتظم في صفوفها أبناء الإسلام في شرق العالم وغربه ، فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده .

واللّـه المســتعان

الهوامش

(١) أخرجه الترمذي ٦٦٦/٥ (٢٧٩٥) وهو حديث حسن .
(٢) أخرجه أحمد ١٨٤/٣ - ٢٨١ ، وأخرجه الترمذي ٦٦٤/٥ (٣٧٩٠) وقال : حديث حسن .
(٣) آل عمران / ٨٥ .
(٤) أخرجه البخاري ١٢٤٣/٣ (٣٤٧٠) وأخرجه مسلم ١٩٦٧/٤ (٢٥٤٠) .
(٥) أخرجه أحمد ٨١/١ - ومجمع الزوائد ٣١١/٩ .
(٦) سير أعلام النبلاء ٤٤٣/١ - ٤٤٤ .
(٧) أخرجه أحمد ١٨٤/٣ - ٢٨١ - وتقدم - .
(٨) سير أعلام النبلاء ٤٤٥/١ .
(٩) الاصابة ٤٢٧/٣ .
(١٠) المستدرك ٢٧٣/٣ وصححه ، ووافقه الذهبي .
(١١) أخرجه البخاري ١٣٧٢/٣ (٣٥٤٨) وأخرجه مسلم ١٩١٤/٤ (٣٤٦٤) .
(١٢) أخرجه البخاري ١٣٨٥/٣ (٣٥٩٧) وأخرجه مسلم ١٩١٣/٤ (٣٤٦٤) .
(١٣) المستدرك ٢٧١/٣ - ٢٧٢ وصححه الذهبي .
(١٤) حلية الأولياء ٢٢٨/١ .
(١٥) المستدرك ٢١٩/٣ ، والحلية ٢٣١/١ ، والطبقات الكبرى ١٢٥/٢/٣ .
(١٦) المستدرك ٢٧١/٣ - ٢٧٣ وصححه ووافقه الذهبي . وقوله (قرأ) أي قال وتحدث .
(١٧) الاصابة ٤٢٧/٣ .
(١٨) صحيح البخاري ١٥٧٨/٤ .
(١٩) فتح الباري ٣٥٨/٣ .
(٢٠) فتح الباري ٦١/٨ .
(٢١) فتح الباري ٣٥٨/٣ .
(٢٢) البداية ١٠٣/٥ .
(٢٣) تقريب التهذيب ١٩٤/٢ وميزان الاعتدال ١٦٢/٢ .
(٢٤) تقريب التهذيب ٤٤٤/١ وقال ابن حجر صدوق اختلط بعد احتراق كتبه .
(٢٥) حاشية سير أعلام النبلاء ٤٤٧/١ - ٤٥٩ .
(٢٦) أخرجه البخاري ٥٩٤/٤ (٤١٢٧) ومسلم . ٧٢/١ (٥٢) .
(٢٧) البخـاري ٢٥٩٨/١ (٦٦٨١) .
(٢٨) البدايـة ٧٥/٥ .
(٢٩) المسند ٢٣٥/٥ ورجاله ثقات .
(٣٠) سير أعلام النبلاء ٤٤٩/١ - والاصابة ٤٢٧/٣ .
(٣١) الطبقات الكبرى ٥٨٥/٣ .
(٣٢) معجم البلدان والقبائل اليمنية / ٩٥ .

(٣٣) السلوك ١/١٩ ، وطبقات الفقهاء للجعدي / ٥٢ وذلك بناء على رأي من يرى أنه ذهب سنة تسع وقد بينت قبله أن ذهابه كانت سنة عشر -والله أعلم- .
(٣٤) معاذ بن جبل - سلسلة أعلام المسلمين / ٦٣ .
(٣٥) حليـة الأوليـاء ١/٢٣٢ .
(٣٦) معاذ بن جبل / ٦٨ - وتاريخ الطبري ٣/٢٣١ .
(٣٧) المسند ٥/٢٣١ - والحلية ١/٢٣٦ .
(٣٨) سير أعلام النبلاء ١/٤٤٩ - والسند ضعيف .
(٣٩) أخرجه مسلم ١/٧١ (٥٢) .
(٤٠) فتح الباري ٣/٣٥٨ .
(٤١) الاستيعاب بحاشية الاصابة ٣/٣٥٦ .
(٤٢) البداية ٣/٣٥٨ .
(٤٣) أخرجه البخاري ٤/١٥٨٠ (٤٠٩١) .
(٤٤) فتح الباري ٨/٦٥ .
(٤٥) عشرون حديثاً من صحيح مسلم / ٣٨ .
(٤٦) تاريخ الطبري ٣/٢٣٢ .
(٤٧) المسجد ونشاطه الاجتماعي - عبد الله الوشلي / ١٨٩ .
(٤٨) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٥/٢٣٥ .
(٤٩) أخرجه البخاري ٢/٥٢٩ (١٣٨٩) وأخرجه مسلم ١/٥٠ (١٩) .
(٥٠) أخرجه مسلم ١/٥٠ (١٩) .
(٥١) قوله (إذا لم يعرف المعروف) أي إذا لم نعرف الصحابي بل قال الراوي مثلاً عن رجل من الصحابة - فإنه يكفي لأنهم عدول ولو لم نعرف أسماءهم فهم معروفون بالعدالة .
(٥٢) شرح النووي على مسلم ١/١٩٦ .
(٥٣) عشرون حديثاً من صحيح مسلم / ٣٥ - ٣٦ - ٣٧ .
(٥٤) انظر فتح المغيث للسخاوي ١/٧٨ ، والكفاية للخطيب البغدادي / ٤٠٧ - ٤٠٨ .
(٥٥) شرح النووي على صحيح مسلم ١/١٩٦ .
(٥٦) تهذيب التهذيب ١/٢١٨ .
(٥٧) تقريب التهذيب ٢/٢٢١ .
(٥٨) تقريب التهذيب ٢/٣٣٢ .
(٥٩) ميزان الاعتدال ١/١٨٣ - والتقريب ١/٥٤ .
(٦٠) مقدمة شرح النووي على مسلم / ٢٥ .
(٦١) الاصابـة ٢/٣٣٠ .
(٦٢) فتح الباري ٣/٢٥٨ - ٢٥٩ .
(٦٣) البداية ٥/٥٢ .
(٦٤) التوبـة / ١٠٣ .

(٦٥) عمدة القارى ٢٣٦/٨ .
(٦٦) فتح الباري ٢٥٩/٣ .
(٦٧) تفسير ابن كثير ١٢٤/١ ، البداية ١٤٨/٣ - ١٤٩ .
(٦٨) البداية ١٤٨/٣ - ١٤٩ .
(٦٩) تفسير ابن كثير ١٢٤/١ .
(٧٠) سورة البقرة / ٨٩ .
(٧١) سيرة النبي ﷺ ابن هشام ٥٥١/١ .
(٧٢) سـورة البقـرة / ١٥٩ .
(٧٣) أخرجه البخاري ١٠٧٧/٣ (٢٧٨٣) ، وأخرجه مسلم ١٨٧٢/٤ (٢٤٠٦) .
(٧٤) سـورة الأنعـام ١٢٤ .
(٧٥) الإســـراء / ٨١ .
(٧٦) أصول الدعوة د. عبد الكريم زيدان / ٤٠٩ .
(٧٧) مبادىء الإسلام - المودودي / ٨٠ .
(٧٨) التوبـــة / ٣٠ .
(٧٩) في ظلال القرآن ٢٦٥/١ - ٢٦٦ .
(٨٠) في ظلال القرآن ٢٣٧٤/٤ .
(٨١) الأنبيـــاء / ٢٥ .
(٨٢) أخرجه مسلم ٥٢/١ (٢١) .
(٨٣) فتح الباري ٣٥٨/٣ .
(٨٤) فتح الباري ٣٥٨/٢ .
(٨٥) أخرجه البخاري ١٢/١ (٨) وأخرجه مسلم ٤٥/١ (١٦) .
(٨٦) عشـرون حديثاً من صحيح مسلم/٣٨ .
(٨٧) الأحـــزاب / ٤٠ .
(٨٨) أخرجه مسلم ١٢٤/١ (١٥٣) .
(٨٩) آل عمران / ٨٥ .
(٩٠) الأعـــراف / ١٥٧ - ١٥٨ .
(٩١) أخرجه البخاري ١٣٠٠/٣ (٣٣٤١) . وأخرجه مسلم ١٧٩٠/٤ (٢٢٨٦) .
(٩٢) أخرجه مسلم ٣٧١/١ (٥٢٣) .
(٩٣) التوبـــة / ١٢٨ .
(٩٤) أخرجه البخاري ١١٨١/٣ (٣٠٥٩) . وأخرجه مسلم ١٤٢٠/٣ (١٧٩٥) .
(٩٥) أخرجه البخاري ١٥٧٨/٤ (٤٠٨٦) وأخرجه مسلم ١٣٥٨/٣ (١٧٣٣) .
(٩٦) الخصائص العامة للإسلام - د. القرضاوي / ١٧٧ .
(٩٧) القمـــر / ١٧ .
(٩٨) البقرة / ١٨٥ .
(٩٩) في ظلال القرآن ١٧٢/١ .

(١٠٠) الحج / ٧٨ .
(١٠١) النساء / ٢٨ .
(١٠٢) البقرة / ١٧٨ .
(١٠٣) البقرة / ٢٨٦ .
(١٠٤) طـه / ٤٣ - ٤٤ .
(١٠٥) في ظلال القرآن ٤/٢٢٣٦ .
(١٠٦) آل عمـران / ١٥٩ .
(١٠٧) في ظلال القرآن ١/٥٠٠ - ٥٠١ .
(١٠٨) آل عمران / ١٣٤ .
(١٠٩) الأعـراف / ١٩٩ .
(١١٠) فصلت / ٣٤ .
(١١١) أخرجه البخاري ٦/٢٥٣٩ (٦٥٢٨) وأخرجه مسلم ٤/١٧٠٦ (٢١٦٥) .
(١١٢) أخرجه مسلم ٤/٢٠٠٢ (٢٥٩٢) .
(١١٣) أخرجه مسلم ٤/٢٠٠٤ (٢٥٩٤) .
(١١٤) أخرجه مسلم ٤/٢٠٠٣ (٢٥٩٢) وكلمة (كله) لم ترد عند مسلم ، وقد وردت عند أبي داود ٥/١٥٧ (٤٨٠٩) .
(١١٥) أخرجه مسلم ٢/١١٠٤ - ١١٠٥ (١٤٧٨) .
(١١٦) مشكاة المصابيح ٣/١٤٠٩ - واسناده صحيح .
(١١٧) تهذيب مدارج السالكين / ٥٧٦ .
(١١٨) الوفيات ٤/٤٨ .
(١١٩) سورة مريم / ٩٧ .
(١٢٠) سورة التوبة / ٢٠ - ٢١ - ٢٢ .
(١٢١) أخرجه البخاري ٥/٢٢٦٩ (٥٧٧٤) ومسلم ٣/١٣٥٩ (١٧٣٤) .
(١٢٢) أخرجه البخاري تعليقاً ٥/٢٢٦٩ (٥٧٧٤) وقال ابن حجر في الفتح ١٠/٥٢٥ - ذكره مالك في الموطأ .
(١٢٣) أخرجه البخاري : ٣/١١٦٦ (٣٠١٩) .
(١٢٤) فتح الباري : ١٠/٥٢٦ (تكلمنّه - بضم الميم - من الكلم وهو الجرح) .
(١٢٥) فتح الباري ١٠/٥٢٨ .
(١٢٦) أخرجه البخاري ٤/١٥٧٩ (٤٠٨٨) ، وأخرجه مسلم ٣/١٢٥٨ (١٧٣٣) .
(١٢٧) أخرجه البخاري ٤/١٥٧٨ (٤٠٨٨) .
(١٢٨) فتح الباري ٨/٦٢ .
(١٢٩) أخرجه مسلم ١/٩٣ (٩١) .
(١٣٠) ترتيب المدارك ٢/٦١٥ .
(١٣١) النحل / ٩٠ .

(١٣٢) المائدة / ٨ .
(١٣٣) انظر نفائس الحلة في التآخي والخلة ٦١ - ٦٢ .
(١٣٤) احياء علوم الدين ١١٩/٣ .
(١٣٥) أخرجه البخاري ١١٨٥/٣ (٣٠٧٣ - ٣٠٧٤) ، وأخرجه مسلم ٢١٨٠/٤ (٢٨٣٤) .
(١٣٦) أخرجه مسلم ١٤٦٠/٣ (١٤٢) .
(١٣٧) أخرجه الدارمي ٢٤٠/٢ ، وأحمد في المسند .
(١٣٨) معاذ بن جبل - سلسلة أعلام المسلمين ٧٣ - ٧٤ . والمستدرك ٢٧٤/٣ .
(١٣٩) المستدرك ٢٧٢/٢/٣ - وصححه ووافقه الذهبي وسير أعلام النبلاء ٤٥٤/١ ، وذكر الذهبي بموضعه أن أبا بكر دفعهم إليه -أي أعادهم لمعاذ- فلما رآهم معاذ يصلون. . القصة . فيكون المعتق لهم معاذ رضى الله عنه .

مصادر البحث

(١) القرآن العظيم .

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب — أبو عمر يوسف بن عبد الله النمري القرطبي / حاشية على الإصابة ط/ دار إحياء التراث - لبنان .

(٣) الإصابة في تمييز الصحابة — أحمد بن علي بن حجر العسقلاني - ط/ دار أحياء التراث - لبنان .

(٣) إحياء علوم الدين — الغزالي - ط/ الكتاب العربي - لبنان .

(٤) أصـــول الدعــوة — أ. د. عبد الكريم زيدان - ط/ لبنـان .

(٥) البدايـة والنهايـة — أبو الفدا عماد الدين إسماعيل بن كثير - ط/ الرابعة - لبنان .

(٦) تاريخ الرسل والملوك — الإمام محمد بن جرير الطبري - تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم ط/ دار المعارف - مصر .

(٧) ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب الامام مالك — للقاضي عياض - تحقيق محمد بن تايوت الطنجي - ط/ وزارة الأوقاف - الرباط - ١٩٦٥م .

(٨) تفسير القــرآن العظـيم — ابن كثير - ط/ لبنـان .

(٩) تقــريب التهذيــب — ابن حجر العسقلاني - ط/ المكتبة العلمية - المدينة المنوّرة .

(١٠) تهــذيب التهذيـب — ابن حجر العسقلاني - ط/ الهنــد .

(١١) تهذيب مدارج السالكين — عبد المنعم صالح العلي - دار كاظم - دبي .

(١٢) جامع الترمــذي — محمد بن عيسى بن سورة - تحقيق وترتيب أبو غدة -

(١٣) حليــة الأوليــاء — أبو نعيم - ط/ دار الكتاب العربي - بيروت .

(١٤) الخصائص العامة للإسلام — د. يوسف القرضاوي - ط/ الرسالة - لبنان .

(١٥) مســند الدارمــي — أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام الدّارمي نشر/ دار إحياء الســنة - لبنــان .

(١٦) ســير أعـلام النبــلاء — شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي -ط/ الرسالة-لبنان

(١٧) سيرة النبي ﷺ — عبدالملك بن هشام - تحقيق محمد محيي الدين-ط/ التجارية-مصر

(١٨) شرح النووي على صحيح مسلم محيي الدين النووي - ط/ دار الفكر - لبنـان .

(١٩) صحيــح البخــاري — أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري-ترتيب د. مصطفى البغاء ط/ علوم القرآن - عجمـان .

(٢٠) صحيح مسـلم — مسلم بن الحجاج - تحقيق وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي ط/ دار الفكر واحياء التراث - لبنـان .

(٢١) طبقـات الفقهـاء — الجنـدي - ط/ لبنـان .

(٢٢) الطبقـات الكـبرى — محمد بن سعد - ط/ دار صادر - لبنـان .

(٢٣) عشرون حديثاً من صحيح مسلم عبدالمحسن بن حمد العباد - ط/ السلفية - مصر .

(٢٤) عمدة القارىء شرح صحيح البخاري — بدر الدين أبي محمد محمود بن أحمد العيني - ط/ دار الفكر - لبنان .

(٢٥) فتـح البـاري — أحمد بن علي بن حجر العسقلاني - ط/ السلفية - مصر .

(٢٦) فتح المغيث غلى ألفية الحديث — محمد بن عبد الرحمن السخاوي - ط/ السلفية - المدينة المنورة

(٢٧) في ظـلال القـرآن — سيد قطب - دار الشروق - لبنان .

(٢٨) الـكـفـايـة — الخطيب البغدادي - تعليق د. أحمد عمر هاشم - ط/ مصر .

(٢٩) مبادىء الإسـلام — أبو الأعلى المودودي - ط/ لبنـان .

(٣٠) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد — نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي - ط/ دار الكتاب - لبنان .

(٣١) المستدرك على الصحيحين — أبو أحمد الحاكم - ط/ الهند .

(٣٢) المسجد ونشاطه الاجتماعي — عبد الله بن قاسم الوشلي - ط/ الرسالة - بيروت .

(٣٣) المسـنـد — أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني - ط/ دار صادر - لبنان .

(٣٤) مشـكاة المصابيح — - التبريزي - بتحقيق الألباني - ط/ المكتب الاسلامي .

(٣٥) معـاذ بن جبـل — عبدالحميد طهماز-سلسلة أعلام المسلمين-ط/ دار الفكر-سوريا

(٣٦) معجم البلدان والقبائل اليمنية — د. حسـين العمـري - دار الحكمة - صنعاء .

(٣٧) مـيزان الاعتـدال — شمس الدين الذهبي - ط/ الحلبي - مصـر .

(٣٨) نفائس الحلة في التآخي والخلة — عدنان سالم وعلي الهزاع - ط/ كاظم - دبي .

(٣٩) الـوفـيـات — ابن شاكر الكتبي - ط/ دار الثقافة - لبنان .